الأصوات وآثارها فى معانى الكلمات العربية

بقلم : عارف أدى ستياوان
جامعة دار السلام كونتور

الملخص

تلعب الأصوات دورا مهمّا فى اللغة من وجه عام و فى اللغة العربية من وجه خاص، لأن اللغة كما عرّفها ابن جنى فى كتابه الخصائص أنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم. و أصل اللغة هي الأصوات. وهي تؤثر فى جميع العناصر اللغوية الداخلية من الكلمة والجملة والدلالة. فلذلك، هناك علاقة قوية بين الأصوات والدلالة أي المعنى. وتمتاز الأصوات العربية من ناحية المخارج بتوزعها فى هذا المدرج توزعا عادلا يؤدى إلى التوازع والانسجام بين االأصوات. وظهر من هذه الوجهة المقابلة بين ترتيب أجزاء الحدث وترتيب مخارج الحروف فى الكلمة كما نجدها فى كلمة (خرج) و (دخل). ومن الخصائص الأخرى أن لكل حرف صفة تختلف عن خرف آخر. و أن اشتراك الكلمات فى حرفين من الحروف الأصلية يفيد اشتراكهما فى شيء من المعنى. و عكس ذلك أن اختلاف حرف واحد من الحروف الأصلية بين الكلمات العربية يفيد اختلافهما عن المعنى. وهذا يأتى من اختلاف الصفة بين حرف و آخر نحو بين (الوصيلة) و (الوسيلة).

الكلمة الرئيسة: الكلمة، الأصوات، معاني الكلمة.

المقدمة

اللّغة كما عرّفها ابن جنى فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم[1]. و عرّفها ابن الحاجب كما نقله هادى أحمد فرحان الشجيرى بأنها : كل لفظ وضع لمعنى. وعرّفها الإسنوى بأنها عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعنى. ويراها بعض المحدثين : « أنها نظام من الرموز الصوتية أو مجموعة من الصور اللفظية تختزن فى

[1] أبو الفتح عثمان ابن جنى، الخصائص، الجزء الأول، (دون المدينة : دار الكتب المصرية، دون السنة) ص. ٣٣

أذهان أفراد الجماعة اللغوية وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين[٢]. نفهم من هذه التعريفات أن اللغة هى علاقة بين اللفظ والمعنى، إما أن يكون اللفظ مفردا أم مركّبا، وليست اللغة إلاّ ظهر منها المعنى.

حدّ اللغة هى الصوت. لذلك، ترجع أهم ظواهر اللغة إلى قسمين رئيسين : الظواهر المتعلقة بالصوت والظاهر المتعلقة بالدلالة. وكلتا الناحيتين فى تطور مطرد وتغير مستمر. وهى فى تطورها تتأثر بعوامل شتى تخضع لطائفة كبيرة من القوانين[٣]. ولمّا أفاض العلماء الأقدمون فى دراسة المادّة اللغوية الصوتية عرفوا لكل حرف صوته صفة و مخرجا، مثلما عرفوا له إيحاءه دلالة ومعنى[٤].

الصوت هو تردد آلي، أو موجةقادرة على التحرك في عدة أوساط مادية مثل الأجسام الصلبة، السوائل، والغازات، ولاتنتشر في الفراغ، وباستطاعة الكائن الحي تحسسه عن طريق عضو خاص يسمى الأذن. من منظور علم الأحياءفالصوت هو إشارة تحتوي على نغمةأو عدة نغمات تصدر من الكائن الحي الذي يملك العضو الباعث للصوت، تستعمل كوسيلة اتصال بينه وبين كائن آخر من جنسه أو من جنسآخر، يعبر من خلالها عما يريد قوله أو فعله بوعي أو بغير وعي مسبق، ويسمى الأحساس الذي تسببه تلك الذبذبات بحاسةالسمع[٥].

ظاهرة صوتية متميزة في أبحاث العرب لم تبحث في مجال الصوت ، وإنما بحثت في تضاعيف التصريف ، ذلك أن صلة الأصوات وثيقة في الدرس الصّرفي عند العرب في كل جزئياته الصوتية ، فكان ما توصل إليه العرب في مضمار البحث

---

[٢] هادى أحمد فرحان الشجيرى، الدراسات اللغوية والنحوية فى مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها فى استنباط الاحكام الشرعية، الطبعة الأولى، (بيروت–لبنان : دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠١)، ص. ٥٦

[٣] على عبد الواحد وافى، علم اللغة، الطبعة التاسعة، (دون المدينة : نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤) ص. ٢٨٥

[٤] صبحى الصالح، دراسات فى فقه اللغة، الطبعة الثانية، (بيروت : منشورات المكتبة الأهلية، ١٩٦٢) ص. ١٤٧.

[٥] اقرأ أيضا عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، (الرياض : مكتبة الرشد، ٢٠٠٩) ص. ١٣٥-١٣٦

الصرفي عبارة عن استجابة فعلية لمفاهيم الأصوات قبل أن تتبلور دلالتها المعاصرة ، فإذا أضفنا إلى ذلك المجموعة المتناثرة لعناية البحت النحوي بمسائل الصوت خرجنا بحصيلة كبيرة متطورة تؤكد النظرية الصوتية في التطبيق مما يعد تعبيراً حيّاً عن الآثار الصوتية في أمهات الممارسات العربية في مختلف الفنون[٦]. وصلة الأصوات متينة أيضا بدلالة الكلمة وهي تلعب دورا أساسيا فى تأثير المعنى إما من جهة المخارج والصفات. كيف تؤثر هذه الأصوات فى معانى الكلمات العربية؟

مخارج الأصوات فى اللغة العربية[٧]

ينبع أقدم تصنيف للأصوات اللغوية عند اللغويين العرب من بحث قضية المخارج. والمقصود بمصطلح المخرج فى الدراسة الصوتية تلك النقطة يحدث فيها اعتراض لمجرى الهواء فى أثناء محاولة الخروج وهي النقطة التى يصدر الصوت فيها، أى ينطق فيها الصوت، ولذا تسمى نقطة النطق Point of Articulation. أما مصطلح المخرج فهو أكثر المصطلحات شيوعا فى التراث اللغوى العربى وصفا لنقطة النطق، ويرجع اصطلاح المخرج إلى الخليل بن أحمد فى مقدمته لكتاب العين، وقد أفاد منه سيبويه بعد ذلك، وأصبح هذا المصطلح متداولا عند المؤلفين العرب بعد ذلك[٨].

والمخارج إما عامة : وهي المشتملة على مخرج فأكثروإما خاصة : وهي المحددة التي تشتمل على مخرج واحد سواء خرج منه حرف واحد أو أكثر . والجمهور على أن المخارج العامة خمسة مخارج وهي [٩]:

---

[٦] محمد حسين على الصغير، الصوت اللغوى فى القرآن، (بيروت لبنان : دار المؤرخ العربى، دون السنة)، ص. ٢٥

[٧] قارن أيضا ب : حفنى ناصف، حياة اللغة العربية، (دون المدينة : مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢)، ص. ٢٢-٢٤

[٨] محمود فهمى حجازى، مدخل إلى علم اللغة، (القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دون السنة)، ص. ٤٧

[٩] اقرأ أيضا محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه-موضوعاته-قضاياه،الطبعة الأولى (الرياض : دار بن خزيمة، ٢٠٠٥)، ص. ١١٣-١١٤

١. الجوف. فى اللغة : هو الخلاء الداخلواصطلاحاً: هو الخلاء داخل الحلق والفمويخرج منه حروف المد الثلاثة الألف المدية المفتوح ما قبلها نحو قال ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها نحو يقول ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها نحو قيل ، وتسمى هذه الحروف بالمدية أو بالجوفية أو الهوائية كما تسمى حرف مد ولين وحروف علة[١٠] .

٢. الحلق. و فيه ثلاثة مخارج أقصاه أدناه ووسطه. أما أقصاه وهو أبعده مما يلي الصدر يخرج منه الهمزة والهاء. أما وسطه فيخرج منه العين والحاء. وأما أدناه وهو أقربه مما يلي اللسان فيخرج منه الغين والخاء وتسمى هذه الحروف بالحلقية لخروجها من الحلق .

٣. اللسان. فيه عشرة مخارج ويخرج منها ثمانية عشر حرفاً :أقصى اللسان فوق مما يلي الحلق مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويخرج منه القاف. أقصى اللسان تحت مخرج القاف قليلاً مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويخرج منه الكاف ويسميان لهويتان لخروجهما من قرب اللهاة. وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويخرج منه الجيم فالشين فالياء المحركة أو الساكنة المفتوح ما قبلها وتسمى هذه الحروف شجرية . إحدى حافتي اللسان مما يلي الأضراس العليا ويخرج منه الضاد المعجمة ، وخروجها من الجهة اليسرى أيسر وأكثر استعمالاً ومن اليمنى أصعب ، ومن الجانبين أعز وأقل استعمالاً إذ هي أصعب الحروف مخرجاً . أدنى حافة اللسان إلى منتهاها مما يلي الأنياب بعد مخرج الضاد مع ما يحاذيها من اللثة العليا ويخرج منه اللام ولكنها من اليمنى أيسر. طرف اللسان مائلاً إلى ظهره قليلاً مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا ويخرج منه النون المظهرة بخلاف المدغمة والمخفاة فمخرجها الخيشوم. طرف اللسان تحت مخرج اللام قليلاً مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا ويخرج منه الراء وتسمى اللام والنون والراء حروفاً ذلقة لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه . طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ويخرج منه الطاء والدال والتاء وتسمى

[١٠] اقرأ أيضا فخرى محمد صالح، اللغة العربية آداء ونطقا إملاء وكتابة، (دون المدينة : مطابع الوفاء-المنصورة، ١٩٨٦)، ص. ٣٥

هذه الحروف الثلاثة نطعيه لخروجها من نطع الفم وهو نهاية تجويفه[١١]

٤. الشفتان. فيهما مخرجان ويخرج منهما أربعة أحرف. بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا ويخرج منه الفاء. الشفتان معاً ويخرج منها الباء والميم مع انطباق الشفتين والواو مع انفتاحهما والمراد بالواو المتحركة أو الساكنة بعد فتح وتسمى هذه الحروف الأربعة شفوية [١٢]

٥. الخيشوم. وهو أعلى الأنف أقصاه من الداخل ويخرج منه الغنة المركبة في جسم النون والتنوين والميم وقد سبق بيان مراتب الغنة

صفات الأصوات فى اللغة العربية

الصفة لغةً : ما قام بالشيء من المعاني وليس من حقيقته، كالبياض والسود والحمرة والصفرة. اصطلاحا في التجويد : كيفية يوصف بها الحرف عند حصوله في المخرج، فتوصف الحروف مثلاً بالجهر أو الهمس أو الشدة وغير ذلك وعددها سبعة عشر صفةً، على القول المختار عند أهل هذا الفن. تنقسم هذه الصفات إلى قسمين:

أ. قسم له ضد وهي خمسة صفات:

١. الجهر. هو منع جريان النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد عليه في المخرج، وهو من صفات القوة ومن الصفات التي لها ضد. أما ضده فهو «الهمس»والهمس صفة من صفات الضعف، ومعناه جريان النفس مع الحرف، لضعف الاعتماد عليه في المخرج وعدد حروف الهمس عشرة وهي: الفاء، الحاء، الثاء، الهاء، الشين، الخاء، الصاد، السين، الكاف، التاء. وهي مجموعة في هذه الكلمات : «فحثة شخص سكت»، وما تبقى من حروف الهجاء فهي حروف الجهر لإن الحرف إذا وصف بصفة

[١١] فخرى محمد صالح، المرجع السابق، ص. ٣٣-٣٤
[١٢] نفس المرجع، ص. ٣٤

فلا يوصف بضدها[١٣].

٢. الرخاوة.هي جريان الصوت مع الحرف لضعفه في المخرج وهي من صفات الضعف، ومن الصفات التي لها ضد، وضدها الشدة والتوسط: الشدة: هي امتناع جريان الصوت مع الحرف لقوته في المخرج. وحروفه ثمانية {الهمزة، والجيم، والدال، والقاف، والطاء، والباء، والكاف، والتاء}، مجموعة في كلمة «أجد قط بكت». التوسطهو صفة بين الشدة والرخاوة، وهو من صفات التوسط. وعدد حروفه خمسة {اللام، النون، العين، الميم، الراء} وهي مجموعة أيضاً في كلمتي «لن عمر».بهذا تكون الحروف الباقية غير حروف الشدة والتوسط هي حروف الرخاوة[١٤].

٣. الاستفال هو انخفاض اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، وهو من صفات الضعف، وضده الإستعلاء. الاستعلاء : وهو ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، والاستعلاء من صفات القوة. حروفه هي: حروف التفخيم وعددها سبعة {الخاء، الصاد، الضاد، الغين، الطاء، القاف، الظاء} وأقوى هذه الحروف هو الظاء. إذا لم يكن الحرف من حروف الاستعلاء فهو من حروف الاستفال[١٥].

٤. الانفتاح هو تجافي كل من طائفتي اللسان والحنك الأعلى عن الأخرى حتى يخرج النفس من بينهما عند النطق بالحرف، وهو من صفات الضعف وضده:»الإطباق»: وهو تلاقي طائفتي اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف، والإطباق من صفات القوة. وحروفه أربعة {الصاد، الضاد، الطاء، الظاء}، وهذه الأحرف الأربعة هي أقوى حروف التفخيم، وما بقي من الحروف فهي حروف الإنفتاح[١٦].

٥. الإصمات.هو منع انفراد حروفه أصولا في الكلمة الرباعية أو الخماسية لثقل النطق بها، بل لابد أن يكون في الكلمة حرف مذلق فأكثر حتى

[١٣] اقرأ أيضا محمد بن إبراهيم الحمد، المرجع السابق ، ص. ١٠٩-١١٢

[١٤] قارن أيضا ب : حفنى ناصف، المرجع السابق، ص. ٢٦-٢٧

[١٥] محمد بن إبراهيم الحمد، المرجع السابق ، ص. ١١١

[١٦] **نفس المرجع**

تكون عربية والإصمات صفة بين القوة والضعف وضده: الإذلاق»: وهوإخراج الحرف محكماً من طرف اللسان والشفة، والإذلاق صفة بين الضعف والقوة، وهي خفة النطق بالحرف. وحروف الإذلاق ستة {الفاء، الراء، الميم، النون، اللام، الباء}، وهي مجموعة في كلمة «فر من لب»، وما بقي من حروف فحروف الإصمات[١٧].

ب. صفات ليس لها ضد وهي سبع صفات:

١. الصفير. هو صوت زائد يشبه صوت الطائر، ويخرج من بين الشفتين ملازما لحروفه، ليس له ضد.حروفه ثلاثة وهي : {الصاد، الزاي، السين}، وأقوى هذه الحروف حرف الصاد لما فيه من استعلاء وإطباق. سميت حروف الصفير لأنك تسمع لها عند النطق صوتاً يشبه صوت بعض الطيور.الصاد يشبه صوت الأوز.الزاي يشبه صوت النحل.السين يشبه صوت الجراد[١٨].

٢. القلقلة[١٩]. هي اضطراب في المخرج عند النطق بأي حرف من حروف القلقلة الخمسة عند سكونه حتى تسمع له نبرة قوية.حروف القلقلة هي {القاف، الطاء، الباء، الجيم، الدال} وهي مجموعة في كلمتي «قطب جد».السبب في حدوث الاضطراب والقلقلة شدة حروفها لما فيها من الجهر والشدة.للقلقلة مراتب أعلاها في الطاء وأوسطها في الجيم وأدناها في باقي حروف القلقلة.والقلقلة صفة لازمة لهذه الأحرف إذا سكنت، سواء كان ذلك في وسط الكلمة أو في آخرها، ويجب بيانها في الوقف أكثر من الوصل خاصة إذا كان الحرف الواقع في القلقلة مشدداً مثل قوله تعالى: ((الحَقُّ))، قال ابن الجزري:وبيّنن مقلقلا إن سكتا *** وإن يكن في الوقف كان أبينا[٢٠].

---

[١٧] **نفس المرجع**، ص. ١١٢

[١٨] نفس المرجع، ص. ١١٣

[١٩] قارن أيضا ب : حفني ناصف، المرجع السابق، ص. ٢٨

[٢٠] محمد بن إبراهيم الحمد، المرجع السابق، ص. ١١٣

٣. اللين. هو إخراج الحروف في سهولة وعدم كلفة.حروفه اثنان {الواو، الياء} الساكنتان المفتوح ما قبلهما مثل ((خَوْفٌ)) لاحظ الواو الساكنة والخاء المفتوحة[٢١].

٤. الانحراف. وهو ميل الحرف عن مخرجة.حروفه اثنان {اللام، الراء} فالانحراف صفة ملازمة لهما لانحرافهما عن مخرجهما حتى يتصلا بمخرج غير مخرجهما، فاللام مخرجها ما بين حافتي اللسان فتنحرف إلى طرف اللسان، والراء مخرجها طرف اللسان فتنحرف إلى ظهر اللسان[٢٢].

٥. التكرير. هو ارتعاد رأس اللسان عند النطق بحرف الراء فقط، فالتكرير صفة للراء خاصة، وهذه الصفة تُعرف لتخفى وتجتنب.وليس معنى إخفاء التكرير إعدامه كليا؛ لأن إعدامه كليا يسبب حبساً للصوت يترتب عليه أن تكون الراء شبيهه بالطاء وهو خطأ، وإنما تُعطى شيئاً بسيطاً حتى لا تختفي صفة الراء.قال ابن الجزري:وأخف تكريراً إذا تشددا[٢٣]

٦. التفشي. هو انتشار الهواء عند النطق بحرف الشين فقط[٢٤].

٧. الاستطالةهي امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان إلى آخره، وهي صفة لحرف الضاد فقط[٢٥]

آثار الأصوات فى معانى الكلمات العربية

تتكون كل لغة من اللغات من عدد محدود من الوحدات الصوتية، وتعبر اللغة بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية عن الجوانب المتنوعة من الحياة والفكر، والبنية اللغوية لا تتكون من الوحدات الصوتية مفردة، بل تتألف من الوحدات الصوتية مركبة فى أبنية مختلفة[٢٦]. والكلمة كما عرفها قسم من علماء

[٢١] قارن أيضا ب : حفنى ناصف، المرجع السابق، ص. ٢٩
[٢٢] نفس المرجع، ص. ٢٨
[٢٣] محمد بن إبراهيم الحمد، المرجع السابق ، ص، ص. ١١٢
[٢٤] نفس المرجع، ص. ١١٢
[٢٥] اقرأ أيضا فخرى محمد صالح، المرجع السابق، ص. ٣٩
[٢٦] محمود فهمى حجازى، المرجع السابق، ص. ٨٩

المحدثين هي : « أصغر وحدة لغوية ذات معنى يمكن النطق بها معزولة، وتكون أهم مستوى للوحدات الدلالية، و يمكن استعمالها لتركيب جملة أو كلام «[٢٧].

والمعنى الذى تحمله هذه الوحدة الدلالية المهمة، كما يقول المحدثون، إنما يتعاون على تكوينه الأصوات_صامتها وصائتها_التى هي المادة الأساسية لهذه الوحدات، فكل تغيير فى هذه الأصوات سواء فى ذوات الأصوات أم فى ترتيبها مقابل بتغيير فى المعنى المؤدى فى الأعم الأغلب. كما أن هناك مناسبة بين الأصوات المنطوقة والمعنى المؤدى، وقد تلمسها علماء العربية قديما[٢٨].

١. علاقة الهمزة بالمعنى

خالف سيبويه أستاذه فى ترتيب الحروف حيث جعل الهمزة أول الأصوات العربية و أبعدها فى المخرج. و سيبويه بصنيعه هذا يوافق البحث الصوتى الحديث الذى أثبت أن الهمزة هى أول الأصوات العربية مخرجا فهي من فتحة المزمار والوتران الصوتيان عند النطق بالهمزة لا يوصفان بالاهتزاز ولا بعدمه[٢٩]. والهمزة صوت شديد مخرجه من الحنجرة ولايوصف بالجهر ولا بالهمس، وفى ذلك خلاف، وقد نقل ابن تيميّة كلام سيبويه فى وصفها فقال : «قال سيبويه : هي نبوة من الحلق، تشبه التهوع»[٣٠].

يقول ابن تيميّة أن اللفظين أى : (النبيء) و (النبيّ) قد اشتركا فى الاشتقاق الأكبر، فكلاهما فيه (النون) و (الباء)، ولكن الأول فيه (الهمزة) والثانى فيه (الحرف المعتل)، والهمزة كما يعبر ابن تيميّة : «أشرف فإنها أقوى»، فالهمزة لقوتها تكون للمعنى الأقوى، والحرف المعتل يكون للمعنى الأقل.

إيضاحه : أن معنى (النبوءة) أوسع من معنى (النبوّة) التى هي العلو والمترلة الرفيعة، فالمعنى الثانى داخل فى الأول « فمن أنبأه الله وجعله منبئا عنه، فلا يكون إلا

[٢٧] هادى أحمد فرحان الشجيرى، المرجع السابق، ص. ٩٩

[٢٨] نفس المرجع

[٢٩] عبد الحميد محمد أبو سكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، الطبعة الأولى، (مصر : مطبعة الأمانة، ١٩٨٠)، ص. ٤١

[٣٠] هادى أحمد فرحان الشجيرى، المرجع السابق، ص. ١٠٠

رفيع القدر عليّا، وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة، إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبيو بل يوصف بأنه الأعلى، كما قال : ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون (آل عمران : ٩٣١)[٣١].

٢. المناسبة بين مخرج الحروف الشفوية ومعانيها

يقال ل (الفاء) و (الباء) و (الميم) و (الواو غير المدية) : الحروف الشفوية نسبة إلى الموضع الذى تخرج منه وهو الشفتان، ف « باطن الشفة السفلى مع طرف الثنيتين العلييين ل (الفاء)، وما بين الشفتين ل (الباء، والميم، والواو) التى ليست حرف مد. والشفتان هما آخر أعضاء الجهاز الصوتى عند علماء العربية، وهما عضوان رئيسان متحركان منفصلان ختم بهما جهاز النطق، وكانت لأحرفهما مزية قد لحظها ابن تيمية، يظهر فيها التناسب بين مخرج هذه الحروف وبين معانيها[٣٢].

إن الاساس الذى بنى عليه ابن تيمية _كما كتبه هادى أحمد فرحان الشجيرى_ ما لحظه من مناسبة أن الشفتين لما كانا نهاية جهاز النطق فكأنهما قد أحاطا بجميع مخارج الحروف، لذا فإنهما قد حملا الحروف الجوامع، وفى ذلك يقول : «ثم الشفتان لما كانا النهاية حملا الحروف الجوامع : (الباء) و (الفاء) و (الميم) و (الواو)».

يقول ابن تيميّة : فأما الباء و الفاء فهما الحرفان السببيان، فإن الباء أبدا تفيد الإلصاق والسبب، وكذلك الفاء تفيد التعقيب والسبب، وبالاسباب تجتمع الأمور بعضها ببعض. وكذلك فإن الفاء عاطفة، والعطف فيه معنى الجمع، فهي تجمع المفردات كما تجمع الجمل[٣٣].

ولدلالة (الميم) على الجمع فقد جاءت فى مثل : (اللهمّ) إشعارا بجميع الأسماء_أسماء الله الحسنى_،وذلك لأن حرف الشفة لما كان جميعا للقوة من مبدأ

[٣١] نفس المرجع، ص. ١٠١
[٣٢] نفس المرجع، ص. ١٠٤-١٠٥
[٣٣] نفس المرجع، ص. ١٠٦-١٠٧

مخارج الحروف إلى منتهاها بمنزلة الخاتم الآخر، الذى حوى ما فى المتقدم و زيادة، كان جميعا لقوى الحروف، وجعل للأسماء مظهرها ومضمرها[٣٤].

٣. الحركات و أثرها فى المعنى

الحركات vowels هي كما عرفها دانيال جونز : صوت مهتز (مجهور) ، يخرج الهواء عند النطق به بصفة مستمرة دون وجود عقبة تعوق خروجه أو تسبب فيه احتكاكا مسموعا[٣٥].والحركات التى نعنيها فى وقفتنا هذه هي الحركات القصيرة : الفتحة والكسرة والضمة، وهذه الحركات تكون عنصرا رئيسا من عناصر النظام الصوتى، فلها أهميتها وقيمتها فى النطق والدلالة، فلا كلام بلا حركات، ومن المعتذر علينا أن ننطق بأي كلمة إذا جردناها من الحركاتو كما يصعب علينا أن ننطق بالكلمات الطوال إذا لم نسكن حرفا من حروفها.

وهذه الحركات وإن كان لكل منها دلالة خاصة، فهي أيضا تتفاوت فى قوة الدلالة على المعنى، فالضمة كما يحدثنا القدماء : هي أقوى الحركات، لذا فقد اختصت بالتعبير عن المعنى الأقوى، والكسرة تليها فى القوة، والفتحة أخفها وأضعفها.

وهذه العلاقة بين الحركات والمعانى إنما هي مناسبة تلوح لمن كثر تأمله وصفا ذهنه، ومن السابقين فى الكشف عن هذه المناسبة عالم العربية ابن جنى، فقد لحظ أن العرب تفرق «بين المعنيين بتغيير حركة الحرف فى بنية الكلمة ويختارون صوت الحركة الأقوى للمعنى الأقوى، والصوت الأضعف للمعنى الأضعف، فمن ذلك : أنهم وضعوا (الذال) و (اللام) للتعبير عن وصف فى (الذابة) و وصف فى (الإنسان)، فكسروا (الذال) للدابة إذا أرادوا الصعوبة، فقالوا : (ذِل)، وضعوا (الذال) للإنسان إذا أرادوا ضد العز، فقالوا : (ذُل)، فلا شكّ أن الذى ينال الإنسان من الذل أكبر خطرا مما ينال الدابة، فاختاروا (الضمة) لقوتها للإنسان،

---

[٣٤] نفس المرجع، ص. ١٠٨

[٣٥] عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، (الرياض : مكتبة الرشد،١٤٧٥ه)، ص. ١٨٥

و(الكسرة) لضعفها للدابة[٣٦].

والمناسبة بين الحركات والمعانى لا تقتصر على الأواخرو بل هي فى البنية واضحة لمن تأملها، يقول ابن تيميّة : «وقوة اللفظ لقوة المعنىو والضم أقوى الكسرِ، والكسر أقوى من الفتح، ولهذا يقطع على الضم لما هو أقوى مثل : (الكُرْه) و (الكَرْه). ف (الكُرْه) هو الشيء المكروه، كقوله : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ) البقرة : ٦١٢، و(الكَرْه) المصدر كقوله : (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) فصلت : ١١، والشيء الذى فى نفسه مكروه أقوى من نفس كراهة الكاره[٣٧].

٤. مناسبة الحروف العربية لمعانيها

أما الذي نريد الآن بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية؛ إذ لم يعنهم من كلِّ حرفٍ أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حلّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوالّ المعبرة، كل حرف منها يستقلّ ببيان معنًى خاصٍّ ما دام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع؛ إذ كان لكل حرفٍ صدًى وإيقاع! وإثبات القيمة التعبيرية للصوت البسيط وهو حرف واحد في كلمة، كإثبات هذه القيمة نفسها للصوت المركب وهو ثنائي لا أكثر، أو ثنائي ألحق به حرف أو كثر، أو ثلاثي مجرد ومزيد، أو رباعي منحوت، أوخماسي أو سداسي على طريقة العرب مشتق أو مقيس[٣٨].

لكل حالٍ من هذه الأحوال التي تبدو لك أول الأمر ألغازًا مقعدة، أو طلاسم محيرة، ذكر علماء العرب الأمثلة، واحتجوا بالشواهد التي لا يسهل دفعها؛ فقد مالوا إلى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله، في حالتي البساطة والتركيب، وطَوْرَي النشأة والتوليد، وصورتي الذاتية والاكتساب.ففي حال

---

[٣٦] هادى أحمد فرحان الشجيرى، المرجع السابق، ص. ١١١

[٣٧] نفس المرجع، ص. ١١٢

[٣٨] صبحى الصالح، المرجع السابق، ص.١٤٢

البساطة: رأوا الحرف الواحد –وهو جزء من كلمة– يقع على صوت معين، ثم يوحي بالمعنى المناسب، سواء أكان في أول اللفظ، أم وسطه، أم آخره[٣٩].

أ. فمما وقع في أول الكلمة: صَعِدَ وسَعِدَ، فجعلو الصاد؛ لأنها أقوى لما فيه أثر مشاهد يُرَى، وهو الصعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك؛ وجعلوا السين لضعفها، لما لا يظهر ولا يشاهد حسًّا، إلّا أنه مع ذلك فيه صعود الجد، لا صعود الجسم . فجعلوا الصاد لقوتها فيما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس، وإن لم تره العين.من ذلك قولهم: خَضِمَ وقَضِمَ؛ فالخضم لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها.من ذلك أيضًا: سَدَّ وصَدَّ، فالسد دون الصد؛ لأن السد للباب يسد والمنظرة ونحوها؛ والصد جانب الجبل والوادي والشعب، وهذا أقوى من السد الذي قد يكون لثقب الكوز وراس القارورة ونحو ذلك.

ب. مما وقع في وسط الكلمة: التاء، والطاء، والدال، في تركيب ''ق ت ر''، و''ق ط ر''، و''ق د ر''، فالتاء خافية مُسْتَفِلَةٌ، والطاء سامية متصعِّدة، فاستعملتا لتعاديهما في الطرفين، كقولهم: قتر الشيء وقطره، والدال بينهما، ليس لها صعود الطاء ولا نزول التاء، فكانت لذلك واسطة بينهما، فعبّر بها عن معظم الأمر ومقابلته، فقيل: قَدْر الشيء لجماعه ومُحْرَنْجِمهومن ذلك قولهم: الوسيلة والوصيلة، والصاد أقوى صوتًا من السين، لما فيها من الاستعلاء؛ والوصيلة أقوى معنًى من الوسيلة، وذلك أن التوسل ليس له عصمة الوصل، والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء، ومماسَّته له، وكونه أكثر الأحوال بعضًا له، كاتصال أعضاء الإنسان وهي أبعاضه، ونحو ذلك، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسِّل جزءًا أو كالجزء من المتوسَّل إليه، وهذا واضح؛ فجلعوا الصاد، لقوتها، للمعنى الأقوى، والسين لضعفها، للمعنى الأضعف.

[٣٩] نفس المرجع

ج. ومما وقع آخر الكلمة[٤٠]: النضج والنضخ، فالنضخ للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح؛ قال الله سبحانه: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} ، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه .و من ذلك قولهم: ''قَرَتَ الدم، وقَرِدَ الشيء، وتَقَرَّدَ، وقَرَطَ، يَقْرُطُ، فالتاء أخفت الثلاثة، فاستعملوها في الدم إذا جفَّ؛ لأنه قصدٌ ومستخفٌّ في الحس عن القَرْدَد، الذي هو النّباك في الأرض ونحوها، وجعلوا الطاء وهي أعلى الثلاثة صوتًا ''للقَرْطِ'' الذي يسمع. ومن ذلك قولهم: الخذا في الأذن، والخذاء والاستخذاء في الذل، فجعلوا الواو في الخذا؛ لأنها دون الهمزة صوتًا، للمعنى الأضعف، وذلك أن استرخاء الأذن من العيوب التي يسبّ بها، ولا يُتَناهى في استقباحها، وأما الذل فهو من أقبح العيوب، وأذهبها في المَزْراة والسبّ، فعبروا عنه بالهمزة لقوتها، وعن عيب الأذن المحتمل، بالواو لضعفها:فجعلوا أقوى الحرفين لأقوى العيبين، وأضعفهما لأضعفهم.وإذا كان علماء العرب قد استشهدوا بالأمثلة السابقة على القيمة التعبيرية للحرف الواحد، وهو صوت بسيط يقع في أول الكلمة تارةً، وفي وسطها تارةً أخرى، وفي آخرها أحيانًا، فما جاءوا بشواهدهم تلك سدًى، ولا ألقوا بها جزافًا، بل اعتقدوا أن في تقديم ما قُدِّمَ منها، وتأخير ما أُخِّرَ، وترتيبها على نحوٍ معين، أسرارًا مدهشة يعجب الباحث اليوم كيف تنتبهوا إليها واستنبطوها، ويكاد يسلّم لها ولو استشعر فيها الكثير من التكليف.

د. المقابلة بين ترتيب أجزاء الحدث وترتيب مخارج الحروف فى الكلمة[٤١]. لذا، فمعنى كلمة (خرج) فى اللغة الإندونيسية (keluar) و كلمة (دخل) لمعنى (masuk). لأن كلمة (خرج) تبدأ مخارج حروف (خ) إلى (ر) إلى (ج) من الحلق فى الناحية الداخلية صاعدة نحو الفم دلالة على الخروج. وكلمة (دخل) على عكسها تبدأ بالدال ومخرجها فى أول الفم ثم تأتى الخاء ومخرجها فى الحلق فالفعل يتجه من الخارج إلى الداخل.

---

[٤٠] اقرأ أيضا محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل فى التجديد والتوليد، (دمشق : دار الفكر، ١٩٦٠)، ص. ٢٥٩-٢٦٠

[٤١] نفس المرجع، ص. ٢٦١

الخاتمة

إن اللغة العربية –كما حدث على اللغات الأخرى– تتأثر بالعوامل الكثيرة وتتركب من العناصر العديدة، داخلية كانت أم خارجية. ومن العناصر الداخلية هى الأصوات والكلمات والجمل والدلالات. وتتميز اللغة العربية من غيرها أن كل عنصر يؤثر عنصرا آخر. يؤثر الصوت الكلمة والكلمة تؤثر فى الجملة والجملة تؤثر فى الدلالة. وكذلك يؤثر الصوت فى الدلالة.

تؤثر مخارخ الأصوات فى اللغة العربية فى معنى الكلمة. وهناك المقابلة بين ترتيب أجزاء الحدث وترتيب مخارج الحروف فى الكلمة. ويناسب معنى (خرج) ب raulek فى اللغة الإندونيسية و (دخل) ب kusam . وكذلك، تؤثر صفات الأصوات فى دلالة الكلمة فى اللغة العربية. قوة الصفة وضعفها تقرّر قوة المعنى وضعفه. فظهر الاختلاف بين (صعد) و(سعد) باختلاف القوة بين صفة الصوت (ص) و(س). ونجد هذه المميزات فى الكلمات العديدة فى اللغة العربية.

المراجع

ابن جنى ،أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، الجزء الأول، دار الكتب المصرية

الشجيرى ،هادى أحمد فرحان، ٢٠٠١، **الدراسات اللغوية والنحوية فى مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها فى استنباط الاحكام الشرعية، الطبعة الأولى**، بيروت–لبنان : دار البشائر الإسلامية

وافى ،على عبد الواحد،٢٠٠٤،**علم اللغة، الطبعة التاسعة**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

الصالح ،صبحى، ١٩٦٢، **دراسات فى فقه اللغة، الطبعة الثانية**، بيروت : منشورات المكتبة الأهلية

علام ،عبد العزيز أحمد ومحمود ،عبد الله ربيع، ٢٠٠٩،**علم الصوتيات**،الرياض : مكتبة الرشد

الصغير ،محمد حسين على، **الصوت اللغوى فى القرآن**، بيروت لبنان : دار المؤرخ العربى

ناصف ،حفنى،٢٠٠٢،**حياة اللغة العربية**، مكتبة الثقافة الدينية

حجازى ،محمود فهمى، **مدخل إلى علم اللغة**، لقاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

الحمد ،محمد بن إبراهيم، ٢٠٠٥، **فقه اللغة مفهومه–موضوعاته–قضاياه،الطبعة الأولى**، الرياض : دار بن خزيمة

صالح ،فخرى محمد، ١٩٨٦، **اللغة العربية آداء ونطقا إملاء وكتابة**،مطابع الوفاء–المنصورة

أبو سكين ، عبد الحميد محمد، ١٩٨٠، **المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، الطبعة الأولى**، مصر : مطبعة الأمانة

المبارك ،محمد، ١٩٦٠،**فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل فى التجديد والتوليد**، دمشق : دار الفكر